



في أوائل الثمانينات من القرن الماضي.. كان هناك عيد الطفولة يوافق 17 نوفمبر.. وظل الاحتفال به فترة الثمانينات.. وشيئاً فشيئاً توقف الاحتفال يعد اليوم حتى مجرد ذكرى.. صحيح الاحتفال بيوم الطفولة لم يغير شيئاً مما يعانیه الأطفال أبناء المطلقين والمأيتام.. لكن الاحتفال به ظاهرة صحية تدل على تقدم ورقى المجتمع.

أنا لست بصدد عودة الاحتفال مرة أخرى من قبل الدولة ونحن في كوارث وأزمات متلاحقة.. وإنما نطالب بالاحتفال به من قبل الآباء والأمهات.. خاصة المطلقين ممن يعملون جاهدين على تشويه صورة الآخر في عيون الطفل.. كي يظهر هو الضحية.. وفي الحقيقة الضحية هو الطفل.. فعندما يفقد الثقة في الطرفين يتجه إلى الشارع بحثاً عن الأمان والحب الذي افتقده.. قال رسول الله، ص.. "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول" هناك مأساة على مسمع ومرأى الجميع.. وهم الأطفال الذين يكونوا مع النساء المتسولات في الشارع ظاهرة تستحق التأمل.. كيف للطفل الذي من شأنه الحركة والنشاط.. يظل نائماً من الصباح الباكر حتى المساء.. في ظل ضجيج وروائح معادن السيارات؟

هل هذا الطفل هو ابن لتلك السيدة المتسولة؟ هل نائم بمخدر أم يجعلونه مستيقظ طوال الليل حتى يبقى نائماً نهاراً؟ فإذا لم يكن وليدها.. هل مخطوف من أسرته؟ وفي الحاليتين يجب أن تقع تحت المسائلة القانونية.. وعلى من تقع المسؤولية في بلد ضاعت بين جوانحه المسؤوليات.. هذا الطفل البائس المحروم من أدنى حقوقه.

هذا بالإضافة لظاهرة العنف المتزايدة ضد الأطفال.. والتي نشهدها كل يوم في الشارع وفي المدارس وعلى أيدينا نحن أولياء الأمور.. العنف.. الذي يخلق جيلاً من الجبناء.. ويقضى على الخلق والابداع
لا شك أن مرحلة الطفولة هي حجر الأساس لبناء جيل جديد لذا لابد أن يكون الأساس قوى حتى يكتمل المبنى بشكل سليم.. "الرجل ابن طفولته" أي أساسه.. فما بالك إذا كان هذا الأساس مفرغاً أو لا وجود له تخيل ولو للحظة وجود جيل كامل بلا ملامح.. أشياء جميلة قضى عليها الخوف والرعب الذي ولد مع هذا الجيل منذ نعومة أظفاره بسبب العنف الذي نطبقه على أبنائنا دون النظر بعيداً لمستقبل هؤلاء الأطفال الذين تتكون شخصياتهم وتتربى أذهانهم على هذه المخاوف..

وحتى البرامج التي تقدم للأطفال من خلال الجهاز الإعلامي وأنا هنا أتحدث عن فئة الأطفال المحترمين الآمنين في بيوتهم.. أقول إن البرامج المقدمة للأطفال والمخاطبة للطفل العربي هي قليلة جداً وهي عبارة عن نسخة قاصرة لبرامج فرنسية وانجليزية وبرامج المسابقات التي تفتقر إلى حس المنافسة الحى وذلك نظراً لضعف استوديوهات برامج الأطفال لدينا وبرامج المسابقات بصفة عامة المقدمة والتي تتميز بالسطحية وعدم التوجه لتدعيم القيم الدينية والتربوية والتاريخية والعلمية..
أما المغامرات المصورة بالرسوم المتحركة لا يزال مصدرها الغرب وعلينا تقبلها بسلبياتها والدراسات أثبتت ان الأطفال دون السابعة الذين يشاهدون الكثير من الاعلانات التلفزيونية التي أصبحت تنهال علينا في الدقيقة الواحدة حوالى 5 اعلانات فإنها تكسب الأطفال عادات سلوكية سيئة كالطمع والإلحاح في طلب السلع المعلن عنها أكثر من هؤلاء الذين يشاهدون الاعلانات لمدد أقل.

اذن هي تربية.. تربية مجتمعية كاملة للطفل.. تشترك فيها هيئات متعددة..

من ياترى المسئول عندنا.. هل وزارة الداخلية؟ أم وزارة التضامن الاجتماع؟ أم وزارة الأسرة والسكان؟ أم جمعيات ومنظمات حقوق الإنسان؟ أم الإلدام؟ أم الأسرة وحدها؟

أبناؤنا أمانة فى أعناقنا سنسأل عنهم أمام الله.. وهم نعمة إن لم نزرعها حق رعايتها.. انقلبت النعمة إلى نقمة.. وزادت الجرائم والعقوق فى مجتمعنا.. قال الشاعر عن عاطفة الآباء.. إنما أبناؤنا بيننا.. أكبادنا تمشى على الأرض.. لو هبت الريح على بعضهم لأمتنعت عيني عن الغمض.. الآباء فى هذا الزمن يكتفون ب..وضير الطعام والشراب وجهاز التليفون..دون النظر إلى ما هو أهم.. حُسن التأدب وتربية الضمير والاندتماء.. فأصبحنا نرى شباب يرتدى أحدث الموديلات والمراكات.. وفى ذاته خاويًا متخبطًا بلا هدف.. أيها الآباء والأمهات إزرعوا المقيم السامية فى قلب وعقل أطفالنا.. سيعود علينا بحبهم وحُسن رعايتهم لنا فى الكبر، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟